

علاقة خواتيم سورة المائدة بمقاصد آياتها - دراسة في

بلاغة المناسبة

د. باسم محمد علي

كلية الامام الاعظم

The Relation of Surat Al-Ma'idah endings with the Intentions of Its Ayas: A Study in the Rhetoric of Suras' Intertextuality.

M . Dr . BASiM Mohammed Ali Jaseem Al samurai

A Teacher at the College of Al – Emam El – Aadham - Blessed be his

soul – Al – gamiaa -

Department ; Fundamentals Of Islamic Religion – Diyala .

البريد الالكتروني: dr.basim.m.ali@gmail.com

يسعى بحثنا الموسوم بـ (علاقة خواتيم سورة المائدة بمقاصد آياتها - دراسة في بلاغة المناسبة) لتناول هذه السورة من خلال بلاغة المناسبة فيها وتحديد أغراضها البلاغية . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن النظر في الكتاب الكريم من أسباب الثبات والتكريم . يعمل البحث في مسيرته ، وعبر مباحثه التي تضمنت (المبحث الأول : مفهوم بلاغة المناسبة ، والمبحث الثاني : التناسب البياني في سورة المائدة ، والمبحث الثالث : التناسب البيدي في سورة المائدة) على إظهار جمال المناسبة ، وخلص البحث إلى أهم النتائج التي كشفت عنها رحلة البحث.

The summary is in English

Our research, tagged with (the relationship of the endings of Surat Al-Maidah with the purposes of this occasion), seeks to Perhaps we are not exaggerating if we say that looking into the Holy Book is one of the reasons for stability and honor. The research works in its course, and through sections that included (the first topic: the concept of rhetoric, the second topic: the original proportionality in Surat Al-Ma'idah, and the third topic: the original proportionality in Surat Al-Maida) to show, and the research concluded with the most important results that appear from the research journey.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعدُ : فقد جاء بحثنا الموسوم : (علاقة خواتيم سورة المائدة بمقاصد آياتها - دراسة في بلاغة المناسبة) للبحث في إبراز بلاغة المناسبة ، والأغراض البلاغية في المعاني والبيان والبديع ، التي تنوعت في عموم هذه السورة المباركة . ويهدف البحث إلى إزاحة الستار ، عن جواهر ما أنزل الجبار - سبحانه - ، لتتجلى لنا نفحات الإيمان ، وصور الإعجاز ، وأساليب التعبير القرآني ، وإيراد المعنى الواحد بطرق متعددة ، والصور المتنوعة ، والمعاني المختلفة ، التي تبعثُ في نفوس المتلقين التفكير والتدبر ، وكذلك يهدف إلى :

أ : معرفة مفهوم بلاغة المناسبة .

ب : معرفة علاقة خواتيم سورة المائدة بمقاصد آياتها .

ت : الفنون البلاغية في سورة المائدة . وقد اتبع الباحث منهج التحليل البلاغي في سيره مع هذه السورة الكريمة ، وقد قسم البحث على مبحثين ، تناول المبحث الأول مفهوم بلاغة المناسبة ، وتناول المبحث الثاني التناسب البياني ، وتحدث المبحث الثالث عن التناسب البيدي . ثم أتبع ذلك بخاتمة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث ، ثم قفوت ذلك بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث في مسيرته وفي مقدمتها القرآن الكريم ، وكتب التفسير ، وكتب الصحاح ، وكتب البلاغة ، واللغة ، والتفسير ، وعلوم القرآن . ولأن صفة الكمال لله وحده ، فإنني أقر بأن أي تقصير بدر أو يبدر فهو من عند نفسي أستغفر الله وأتوب إليه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين .

التهنيد

عنى بحثنا الموسوم : (علاقة خواتيم سورة المائدة بمقاصد آياتها - دراسة في بلاغة المناسبة) بالكشف عن الصور المختارة الموحية، التي قد انسقت في جملها، وارتقت مستقرة في مكانها ، وأثرت في نفوس سامعيها ، بما تميّزت به من قوة نسجها . وقد أضفى التصوير البلاغي عن طرق التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، واستعمال أساليب متنوعة ، أسهمت في توجيه النفوس الوجهة الصحيحة ، وكان للمنهج القرآني الذي يصل بين خواتيم سورة المائدة ، بمقاصدها الجليّة ، الأثر الطيب الدعوة للتفكير والتدبر . كان لبلاغة المناسبة في سورة المائدة أثر كبير في دراسة المفردات والجمال وكذلك المعنى ، والغوص في أعماق المعنى وتوظيف القرآن الكريم بطريقة تستند إلى التكثيف والاختصار في ثنايا آيات سورة المائدة بالاستعانة بفنون البلاغة (الاستعارة والكناية والمجاز ، وغيرها) وما تستدعيه من معانٍ وتصوير ، ذلك ما أسماه عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) بـ " معنى المعنى : أن تَعْقِلَ من اللفظ معنًى ثم يُفْضِي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر "١ " اقتنص البحث في مسيرته حالة فريدة تمثلت في توظيف التوليف التعبيري ، ونعني به : التوليف المؤسس على تراكم هدفه : " إحداهن تأثير مباشر دقيق ، نتيجة لصدمة صورتين ، والتوليف بهذه الحالة يوحي إلى التعبير بذاته عن عاطفة أو فكرة "٢ . إنَّ القرآن الكريم تميّز بتوظيف الموروث التعبيري في عملية السرد في هذه السورة المباركة بطريقة خاطبة العيون ، والأذهان ، وبرزت صور الجلال والجمال ، في المباحث الثلاثة التي فصلت عنوان البحث . والحمد لله الذي وفقنا لخدمة كتابه الكريم .

إنَّ مهمة ترتيب المعاني المتشابهة المتناسقة ترتبط بالمناسبة ارتباطاً وثيقاً ، ليس هذا فحسب بل إنَّ معرفة علل ترتيب الأجزاء هو من أبرز ما يعمل علم المناسبة على إظهاره وإشاعته ، يذهب إلى ذلك الإمام البقاعي فيقول : هو " علم تعرف منه علل الترتيب " ٣ .
ولذلك يقول العلماء : علم المناسبة بالنسبة للمناسبة في بلاغتنا العربية ، كأصول الفقه بالنسبة للفقه ، فكما أنَّ أصول الفقه يعلّل ويرتب ويقنن المسائل الفقهية ، كذلك تفعل المناسبة البلاغية في ترتيب المعاني واتساقها وانتظامها ، في سياق النصوص ولا سيما القرآنية موضوع بحثنا الموسوم (علاقة خواتيم سورة المائدة بمقاصد آياتها - دراسة في بلاغة المناسبة) . والتناسب في سور القرآن الكريم ينطلق من جمال الاستهلال بالكلام فيه ، المتعلق بما يشير إلى موضوعه ، والغرض المقصود منه ، وإنَّ من أساليب التعبير البليغ ، استهلال الكلام الذي يشير إلى محتوى موضوعه ، ويظهر الغرض منه وهو ما يسميه علماء البلاغة بـ : براعة الاستهلال ، " وأحسن الابتداء ما ناسب المقصود ، ويسمى براعة الاستهلال " ٤ ، ومنهم من يسميه بـ (حسن الابتداء) ، ولنا في سورة الفاتحة مثلاً طيبٌ إذ جاءت في أول القرآن الكريم ، واشتملت على جميع مقاصده ، كما عبّر عن ذلك سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - بقوله " هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته " ٥ . وتأتي أهمية علم المناسبة في القرآن ، من خلال عنايته بالمعاني الجليلة التي يتشكل منها

نصوص الآيات . والترابط بينها ، وكذا بين السور بعضها ببعض ، بغية معرفة الحكمة الربانية التي شاءت أن يكون ترتيب آيات هذه السورة الكريمة بالشكل الذي بين دفتي القرآن الكريم المعجز وأول من تكلم في علم المناسبة هو الإمام أبو بكر النيسابوري - رحمه الله - وكان يقول إذا قرئت عليه آية: لم جعلت هذه الآية جنب هذه ؟ وتبين أهمية علم المناسبة من خلال ما يأتي:

١ - أهمية علم التناسب في دفع توهم التكرار في القصص القرآني ذلك أنَّ لكل سورة أُعيدت فيها قصة معنى غير المعنى الذي سبقت له في سورة أخرى .

٢ - إظهار الإعجاز القرآني ؛ للتدليل أنَّ هذا القرآن هو تنزيل من الرحيم الرحمن - سبحانه وتعالى - ، فيستقر في القلب الإيمان به ، وفي ذلك يقول البقاعي : " وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ، ويتمكن من اللب " ٦ .

٣ - فهم مراد الله - تعالى - في كتابه المبين ، ومقاصد تنزيله الحكيم .

٤ - الكشف عن الإعجاز من خلال نظم كل جملة ، ومن البديع عندهم " التوشيح " ٧ ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٣٩] المائدة: ٣٩ ، إذ شهد أول النص بقافيته وأول الكلام بآخره .

٥ - يعمل على معرفة المخفي من الدرر والحكم ، والمعاني واللطائف ، في آيات الكتاب المبين ، إلى ذلك يذهب الإمام الرازي فيقول : " إن أكثر لطائف القرآن مُودعة في الترتيبات والروابط " ٨ .

المناسبة في اللغة والاصطلاح :

لغة : يقول ابن الفارس (ت ٣٩٥ هـ) : " (نَسَبَ) الثُّونُ وَالسَّيْنُ وَالنَّبَأُ كَلِمَةً وَاحِدَةً قِيَاسُهَا اتِّصَالُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ . مِنْهُ النَّسَبُ ، سُمِّيَ لِاتِّصَالِهِ وَلِلِاتِّصَالِ بِهِ " ٩ . ويقول الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) ، " وأعلم أن علم المناسبة علم شريف تحزر به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ، والمناسبة في اللغة ، المقاربة : وفلان يناسب فلاناً ، أي : يقرب منه ، ويشاكله ، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل ؛ كالأخوين ، وابن العم ونحوه ، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما ، وهو القرابة " ١٠ .

اصطلاحاً : يقول البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) : " علم مناسبات القرآن : علم تُعرف منه علل ترتيب أجزائه ، وهو سرّ البلاغة " ١١ .

ويبحث هذا العلم في المعاني التي تربط بين الآيات ، وبين السور بعضها ببعض ، وفي ذلك يقول القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ) : " هو ارتباط أي القرآن بعضها ببعض ؛ حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة المباني " ١٢ .

أنواع المناسبة في سورة المائدة :

١- مُنَاسَبَةُ أَوَّلِ سُورَةِ (المائدة) بِأَخْرِهَا: الْحَدِيثُ عَنِ الصِّدْقِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعُقُودِ وَعَاقِبَةِ الصِّدْقِ، فَقَالَ فِي فَاتِحَتِهَا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ يقول البقاعي : " مقصودها الوفاء بما هدى إليه الكتاب ، ودل عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق ورحمة الخلائق " ١٣ ، وَقَالَ فِي خَاتِمَتِهَا : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ .

٢- مُنَاسِبَةُ سُورَةِ الْمَائِدَةِ لِمَا قَبْلَهَا مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ ، اخْتِصِمَتِ النَّسَاءُ بِأَحْكَامِ الْمَوَارِيثِ وَأَفْتِخَتْ الْمَائِدَةُ بِأَحْكَامِ الْعُقُودِ ، وكلاهما شَرَعَا لِلنَّاسِ تنظيم العلاقات الاجتماعية لينعم النَّاسُ بعدل الإسلام .

٣- مناسبة اسم السورة لمضمونها وحمل اسمها قصة المائدة لورود المائدة فيها ولم يرد اسم المائدة ولا قصتها في القرآن كله إلا في هذه الآيات من هذه السورة .

٤- إن قصة المائدة كانت آية للحواريين وعيدا لأولهم وآخرهم ؛ فناسبت مطلع سورة المائدة التي كانت عيداً للمسلمين ﴿ أَيَوْمَ يَسِّرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ أَيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِيْتِمَارٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴾ المائدة: ٣ .

٥- مناسبة أن الله - تعالى - كما أكرم الحواريين بالمائدة وجعلها لهم عيداً ، فقد أكرم أمة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - بسورة المائدة التي أنزلها في يوم الجمعة وهو من أعياد المسلمين وبهذا ورد الحديث ، في يوم عرفة اجتمع العيدان زيادة في شرف التكريم ، قال - صلى الله عليه وسلم - : " قد اجتمع في يومكم هذا عيدان ، فمن شاء أجزأه من الجمعة ، وإنا مُجَبِّعُونَ " ١٤ .

مقاصد سورة المائدة :

تَقَصَّى البحث في مسيرته المقاصد الشريفة التي أفصحت عنها آيات السورة الكريمة ، وتوقف البحث عند أبرز تلك المقاصد ، على سبيل التمثيل وليس الحصر ومنها :

أ : أمر المولى - سبحانه وتعالى - بالوفاء بالعقود ، والتزام الشرع الحنيف ، شرطاً لدوام النعم ما ظهر منها وما بطن ، فإن التزم النَّاسُ بذلك ، ولم يحلوا الحرام ، ولم يُحَرِّمُوا الحلال ؛ فإنَّ الله

- تبارك وتعالى - سيجزيهم الجزاء الأوفى ، وبخلافه فإنَّ العاقبة لن تكون أرحم من عاقبة اليهود وخيانتهم للعقود وعدم وفائهم بالعهود .

ب : شملت المقاصد الشرعية الخمس (حفظ الدين ، والعقل ، والمال ، والنفس ، والعرض) ، وكلها تتعلق بما يصب في المصالح المجتمع .
ب : بينت حد السرقة في الشريعة الإسلامية وهي قطع اليد وهذه تُصنَّف من حفظ المال .

ت : بينت حفظ الله تعالى لعقول المسلمين بتحريمه للأرجاس الشيطانية الأربعة (الخمر ، والميسر ، والأنصاب ، والأزلام) صيانة للعقول .
المناسبة في نظم سورة المائدة الترتيبي : نظم السورة مبهرٌ ودال ، آياتها مئةٌ وعشرون آيةً ، ومعاني اسمها المائدة ن ينبثق عن مفهوم (الطاولة) التي يوضع عليها الطعام والشراب وغيره ، وعادة ما يُطلق لفظ (المائدة) على الطعام ذاته السبب في تسميتها : تعددت الروايات في بيان سبب تسميتها ، والذي يميل إليه الباحث أنَّ سبب التسمية (المائدة) مرتبط بقصة نزول المائدة التي طلبها حواريو نبيِّ الله عيسى - عليه السلام - ، واقتران هذا الاسم بهذه السورة يكشف مقاصدها العامة ، وفي مقدمتها الرضا والتسليم بالأحكام الشرعية التي فرضها الله تعالى في هذه السورة ، وموضوعاتها الجليلة .

فضائل سورة المائدة : إنَّ هذه السورة المدنية نزلت جملة واحدة ، ونزلت بكيفية خاصة وفريدة ، إلى ذلك يكشف عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - عن هذه الكيفية بقوله : " أنزلت على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَحْمِلَهُ ، فَزَلَّ عَنْهَا " ١٥ ، وفي ذلك بيانٌ لعظيم فضلها . وفي فضلها جاء عن أم المؤمنين السيدة عائشة ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، قَالَ : " مَنْ أَخَذَ السُّبْحَ الْأَوَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَهُوَ حَبْرٌ " ١٦ . أي : عالم .

المبحث الثاني : التناسب البياني في سورة المائدة

عني العلماء ومنهم علماء البلاغة بدراسة النصوص القرآنية ، وبينوا أنَّ من بين أهم أسرار عظمة هذا الكتاب المنير ما تتجلى في نظمه البياني البديع ، وإعجازه المنيع ، وتناسبه الرفيع ، " إن معنى واحداً يستطاع أدائه بأساليب عدة ، وطرائق مختلفة ، وأنه قد يوضع في صورة رائعة من صور التشبيه أو الاستعارة ، أو المجاز المرسل ، أو المجاز العقلي ، أو الكناية " ١٧ " وكلما تقادم الزمان كلما تكشفت دلائل إعجاز هذا الكتاب العزيز . يسعى البحث إلى إبراز قيمة الجمال البياني في سورة المائدة وبلاغة المناسبة فيها ومعانيها ، وأوجه التناسب في آياتها ، وعلاقة خواتيمها بمقاصد آياتها .

أ : التشبيه :

للتشبيه في سورة المائدة أثر لطيف ، أسهم في إبراز إعجاز القرآن وبلاغته وجمال التعبير فيه من خلال عرضه للنصوص بصورة تقريبية تزيد في فهمها وتدبر معانيها ، ومقاصدها وتعانقها مع المضمون ، يرى السكاكي أن " التشبيه مستدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به واشتركا بينهما من وجه وافتراقاً من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس ^{١٨} " . يسعى البحث للكشف عن صور البهاء ، بتصوير التشبيه للأشياء ، بطريقة فنية ، تثير ذائقة المتلقي ، وتبعث في نفسه السمو والارتقاء ، وإن " بالتشبيه تعرف البلاغة ^{١٩} " .

١- التشبيه التمثيلي في تصوير إحياء نفس واحدة بإحياء الناس جميعاً :

في قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَ تَهُمَ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِن كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمْسِرُونَ ﴾ المائدة : ٣٢ . وفي النص تشبيه تمثيلي في قوله : ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ أظهر هذا التشبيه التناسب في اشتراك الفعلين في حرمة إراقة الدماء ، والتجرؤ على القتل ، واستجلاب غضب الله العظيم ، وصور التهيب والردع عن قتل نفس واحدة بصورة ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، وفي ذلك يرى صاحب الجدول ، أن " مناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى والتجرؤ على القتل في استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى العظيم ^{٢٠} " . وأفاد التشبيه ها هنا : بتصوير قتل نفس واحدة بصورة قتل جميع الناس ، كما رغب وحض على إحيائها بتصويره بصورة إحياء جميع الناس ، إلى ذلك يذهب ابن درويش فيقول : " ووجه التشبيه هو تهويل أمر القتل ، وتفخيم شأن الأحياء ، بتصوير كل منهما بصورة لاثقة به ^{٢١} " . وكشف النص عن جمال المناسبة في تصوير إحيائها بصورة إحياء جميع الناس .

٢- حذف أداة التشبيه ليؤكد صيغة المبالغة في قوله تعالى : ﴿ وَقَفِينَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ المائدة : ٤٦ . وفي النص جمال مناسبة التشبيه البليغ ما بين الإنجيل والنور والهدى ، في قوله : ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ إذ حذف أداة التشبيه ليساوي (النور و الهدى) ، بدرجة الإنجيل بصيغة المبالغة ، يرى صاحب البحر المحيط ، أن في قوله ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ " فيه تعظيم عيسى عليه السلام بأن الله أتاه كتاباً إلهياً ، ومعنى كونه فيه هدى أنه يشتمل على دلائل التوحيد ، وتنزيه الله عن الولد والصاحبة والمثل والصد ، وأن النور هو ما فيه مما يُستضاء به إذ فيه بيان أحكام الشريعة وتفاصيلها ^{٢٢} " . يؤكد ذلك صاحب الجدول بقوله : " التشبيه البليغ وهو تشبيه الإنجيل بالنور والهدى ، وحذف الأداة ليكونا نفس الإنجيل للمبالغة ^{٢٣} " .

٣- تشبيه الشريعة بالطريق إلى الماء الذي فيه الحياة في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ فَاحِشًا بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ المائدة : ٤٨ . وفي النص جمال مناسبة التشبيه في قوله : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ إذ شبه الشريعة بالطريق إلى الماء الذي فيه الحياة ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنبياء : ٣٠ ، وفي النص جمال مناسبة التشبيه في قوله : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ إذ شبه الشريعة بالطريق إلى الماء الذي فيه الحياة ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، يذهب إلى ذلك صاحب الجدول فيقول : " الشريعة هي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحياة الأبدية كما أن الماء سبب للحياة الفانية ^{٢٤} " .

ب : المجاز : يعد المجاز أحد أهم فنون البيان وله المكانة والتأثير ، في فهم آيات القرآن والتفسير ، والجمال البلاغي والتصوير ، الذي يسعى البحث لكشفه وبيانه ، عبر عينات من سورة المائدة :

١- المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي :

في قوله تعالى : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ المائدة : ١٦ . وفي النص مجاز لغوي في قوله تعالى : ﴿ الظُّلُمَاتِ - النُّورِ ﴾ دل عليه سياق النص الكريم ، إذ لم يستعمل فيما وضع له في المعنى الحقيقي . وجوز بعضهم كما يذكر الألوسي أن تكون ﴿ الظُّلُمَاتِ - النُّورِ ﴾ كلها استعارة مركبة تمثيلية بتصوير الهدى بالنور والضلال بالظلمة والمكلف المنغمس في ظلمة الكفر بحيث لا يتسهل له الخروج إلى نور الإيمان إلا بتفضل الله تعالى

فيما ذهب صاحب الجدول إلى القول إن الاستعارة التصريحية الأصلية: في قوله تعالى: ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ " استعارة تصريحية أصلية، أي: من فنون الكفر والضلال إلى الإيمان، والعلاقة المشابهة، وقد لفظ المشبه وأستعير بدله لفظ المشبه به، ليقوم مقامه ولما كان المشبه به مصرحاً به في هذا المجاز سميت الاستعارة تصريحية، وسميت أصلية لأنها جارية في الاسم " ٢٦ . وكشف الغرض البلاغي عن أن القرآن الكريم ، والنور ، والهداية المحمدية كل ذلك يُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَاطِلِ إِلَى نُورِ الْحَقِّ وَالْيَقِينِ ٢٧ - نداء ما لا يعقل مجازاً :

في قوله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقُ بِعَجَزٍ أَنَ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ المائدة : ٣١ . وفي النص مجاز ، في قوله تعالى: ﴿ يُوتِلَقُ ﴾ ؛ لأنه نادى ما لا يعقل ، وأصل النداء أن يكون لمن يعقل .

٣- التعبير بالكل وإرادة الجزء بعلاقة الكلية: في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ مَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ المائدة : ٣٨ - ٣٩ . وفي النص مجاز مرسل في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ " سَمَى ذَلِكَ الْقَطْعَ بِالْجَزَاءِ " ٢٧ ، وأظهر المراد بالقطع وهو الرسخ فقط ، فعبّر بالكل وهو اليد ، وأراد الجزء وهو الرسخ ، " وعلاقة المجاز هنا الكلية " ٢٨ .

٣- تصوير الواقع بالصورة الحسيّة والعلاقة السببية : في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَا اللَّهُ مَعْلُومَةٌ عَلَتْ أَيْدِيَهُمْ وَلَعْنًا إِيَّاهُ قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيزِيدَنَّ كِبِيرًا مِّنْهُم مَّا أَزَلَّ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَاتُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ المائدة : ٦٤ . وفي النص مجاز مرسل في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَا اللَّهُ مَعْلُومَةٌ ﴾ ، يرى الزمخشري أن: " غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود " ٢٩ . وقد أظهر مجيء المجاز المرسل في وصف غل اليد تعبيراً عن البخل ، وفي بسطها تعبيراً عن الجود ، والعلاقة ها هنا السببية ، إلى ذلك يذهب ابن درويش فيقول: " بسط اليد: عبارة مجازية مرسلة بعلاقة السببية، لأن اليد سبب الإيذاء، كما أن بسط اللسان عبارة مجازية، علاقتها السببية " ٣٠ . وكشف الغرض البلاغي تصوير الواقع بصورة حسية .

ت : الاستعارة ذلك الفن الرائع ، والتشبيه البليغ الذي حذف أحد طرفيه ، والذي لا بُد فيه من ذكر الطرفين الأساسيين ، وهما (المشبه والمشبه به) فإذا ما حُذِفَ أحد الركنين لا يعد تشبيهاً بل يصبح استعارة وقد اختار البحث عيناتٍ من نصوص السورة المباركة .

١- الاستعارة التصريحية وتشبيه الإنفاق على الفقراء بالقرض: في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ المائدة : ١٢ . وفي النص استعارة تصريحية في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ ، شبه الإنفاق في سبيل الله على الفقراء والمساكين ، وبذل الصدقة على المحتاجين بالقرض ، على سبيل المجاز يؤكد ذلك ابن درويش فيقول: " في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ استعارة تصريحية فقد شبه الإنفاق في سبيل الله لوجهه بالقرض، على سبيل المجاز، لأنه بإعطاء المستحق ما له لوجه الله، فكأنه أقرضه إياه " ٣١ . ويرى صاحب الجدول أن في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ ، " استعارة تصريحية حيث شبه الإنفاق في سبيل الخير أو التصدق بالصدقات المندوبة بالقرض، على سبيل المجاز " ٣٢ .

٢- حذف المشبه به ، واستعارة لفظ المشبه به المحذوف للمشبه في قوله تعالى: ﴿ يَأْتَاهِلَ الْكُتُبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكُتُبِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ ١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ المائدة : ١٥ - ١٦ وفي النص استعارة مكنية في قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ ﴾ ؛ إذ شبه النور بإنسان يهدي الناس إلى الخير، ويعلمهم طريق الخير ، بجامع الهداية ، وقد حذف المشبه به ، واستعار لفظ المشبه به المحذوف للمشبه، ورمز إلى المشبه به المحذوف بشيء من

لوازمه وخصائصه وهو المجيء . وفي قوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ ﴾ ، يقول صاحب البحر المحيط : " هُوَ الْقُرْآنُ سَمَاءُ نُورًا لِكَشْفِ ظُلُمَاتِ الشَّرِّ وَالشُّكِّ ، أَوْ لِأَنَّهُ ظَاهِرُ الْإِعْجَازِ ٣٣ " وفي النص أبعد مدى عرفته البلاغة ، إذ جاءت الاستعارة المكنية التي يصرح فيها بلفظ المشبه ، لتُضفي حسًا معنويًا دلاليًا على إعجاز القرآن وبيانه . كما يرى ابن درويش أنَّ الاستعارة تصريحية في قوله تعالى : ﴿ مَنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ " استعارتان تصريحتان أصليتان ، يقصد بالأولى الضلال وبالتالي الهدى والإيمان ، والعلاقة المشابهة ، وقد حذف لفظ المشبه واستعير بدله لفظ المشبه به ، ليقوم مقامه ، بادعاء أن المشبه به هو عين المشبه ، وهذا أبعد مدى في البلاغة ، وأدخل في بابها ، ولما كان المشبه به مصرحًا به في هذا المجاز سميت الاستعارة تصريحية ، وسميت أصلية لأنها جارية في الاسم ٣٤ " .

٣- تزيين المعصية ومطاوعتها على سبيل الاستعارة التمثيلية : في قوله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ المائدة : ٣٠ . وفي النص جمال التصوير ، وتقنية التوظيف المستتير ، وروعة الاستعارة التمثيلية في قوله ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ ، التي ابتدأت بالفاء للتفريع وللتعقيب ، وصوّرت الصراع النفسي والتردد في نفس قابيل . وكشف الغرض البلاغي فيها عن مقصود الآية ومرادها أنَّ قابيل زينت وطوّعت له نفسه قتل أخيه ففعل ، وذلك هو معنى تزيين المعصية ومطاوعتها .

٤- صورة استمرار نزول العذاب بسبيل الاستعارة التمثيلية :

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا نَقْبِلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾ المائدة : ٣٦ . وفي النص استعارة تمثيلية في قوله : ﴿ لَيَفْتَدُوا بِهِ ﴾ وذلك لاستمرار العذاب النازل بهم ، ولا سبيل لهم إلى النجاة منه ، يرى الزمخشري أنَّ في قوله ﴿ لَيَفْتَدُوا بِهِ ﴾ ، أي : " ليجعلوه فدية لأنفسهم . وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم ، وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه ٣٥ " . فيما يذهب ابن درويش إلى القول : " في قوله : (ليفتدوا به) استعارة تمثيلية ، للزوم العذاب بهم وديمومته عليهم ، وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه ٣٦ " . بيد أنَّ صاحب الجدول يرى أنَّ في قوله ﴿ لَيَفْتَدُوا بِهِ ﴾ ، " كناية عن لزوم العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى الخلاص منه ، فإن لزوم العذاب من لوازمه أن ما في الأرض جميعًا ومثله معه لو افتدوا به لم يقبل منهم ، وأطلق بعضهم على هذه الجملة تمثيلاً ٣٧ " .

٥- نصب ما كان فعلاً على التمييز : في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ المائدة : ٨٣ . وفي النص استعارة في قوله تعالى : ﴿ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ أي : ملاًها الدمع . واستعار للدمع الفيض تعبيرًا عن الانصباب من فرط بكائهم ، يرى ذلك صاحب الجدول فيقول : " الاستعارة : في قوله تعالى : ﴿ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ أي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة ، أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها ٣٨ " وكشف التصوير البياني عن جمال الاستعارة في تحويل الفعل إلى العين مجازًا ومبالغة ، ثم نبه على الأصل والحقيقة بنصب ما كان فعلاً على التمييز .

٦- تصوير سوء العاقبة لطعامٍ مستوخم على سبيل الاستعارة المكنية : في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بِبَلْعِ الْكَمْبَةِ أَوْ كَفَرَةً طَعَامٌ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ المائدة : ٩٥ . وفي النص استعارة تجسدت في قوله تعالى : ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ ، والوبال هو الطعام المستوبل المستكره ، ذهب ابن درويش إلى أنه لبيان عاقبة هتك حرمة الإحرام فيقول : فيها " الذوق في الآية استعارة مكنية تبعية ، شبه سوء العاقبة الناجمة عن هتك حرمة الإحرام بطعامٍ مستوبلٍ مستوخمٍ يذوقه ، فحذف المشبه وأبقى شيئًا من خصائصه وهو الذوق ٣٩ " ، وكشف الغرض البلاغي عن تماهي الذوق مع السياق ليكون في غاية الاتساق .

٧- صرح بالمشبه به وحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية : في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ المائدة : ١٠٠ . وفي النص استعارة تصريحية في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ ، وجاءت الاستعارة في موضعين متقابلين ﴿ الْخَبِيثُ ﴾ و ﴿ وَالطَّيِّبُ ﴾ وفي مقابلهما (الحرام) و(الحلال) ، فشبه الحلال بالطيب في حلاوته ، وتقبل النفس له ترغيبًا فيه ، وشبه الحرام بالخبث في كراهيته ، وعزوف النفس عنه ، وصرح بالمشبه به وحذف المشبه .

ث : الكناية : إنَّ الكناية بوصفها من فنون البيان : هي اللفظ الذي أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه الحقيقي معه أيضاً . وهي تسهم في تنمية الذوق ، وتبني أسلوب التفكير الذي يرافق حياة الإنسان ، واختار البحث عيناتٍ من نصوص السورة موضوع البحث :

١- إظهار الأيدي لزيادة التقريع بسبيل الكناية :

في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَايَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المائدة : ١١ . وفي النص كناية في قوله تعالى : ﴿ قَوْمٌ أَن يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أي : بأن يبطشوا بكم بالقتل والإهلاك ، فجاء سياق الكلام بطريق الكناية عن بطشهم ، وهي كناية عن صفة الغدر المتصف بها القوم المذكورين وهم من اليهود .

٢- الكناية الإيمانية لإظهار معنى خفي :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ المائدة : ١٢ . وفي النص كناية فيها إيماء في قوله تعالى : ﴿ وَعَامَنْتُمْ بِرُسُلِي ﴾ كناية عن المجاهدة في سبيل الحق ، ونصرة دين الله تعالى ، يذهب إلى ذلك صاحب الجدول فيقول : " الكناية الإيمانية: في قوله تعالى : ﴿ وَعَامَنْتُمْ بِرُسُلِي ﴾ فهو كناية إيمانية عن المجاهدة ونصرة دين الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام " .

٣- اقتضاء لزوم العذاب عدم قبول الفداء على سبيل الكناية : في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَادَابُ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ المائدة : ٣٦ . وفي النص كناية في قوله تعالى : ﴿ لَيَفْتَدُوا بِهِ ﴾ عن لزوم العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى الخلاص منه ، بذلك يقول صاحب الجدول : " الكناية: في قوله تعالى لَيَفْتَدُوا بِهِ ، فهي كناية عن لزوم العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى الخلاص منه، فإن لزوم العذاب من لوازمه أن ما في الأرض جميعا ومثله معه لو افتدوا به لم يتقبل منهم " . وهو كناية عن صفة عدم قبولهم وعدم انتفاعهم من عز الدنيا .

٣- إثبات الشرارة لمكان الشيء كناية عن إثباتها له :

في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَ مُتَوَبِّعُونَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَعَظْبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ المائدة : ٦٠ . وفي النص تهكم وازدراء في قوله - عز من قائل - ﴿ مُتَوَبِّعٌ ﴾ المعبر عن الشر وجاء استعمالها في هذا الموضع على طريقة التهكم ، وفي النص كناية في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا ﴾ ، جاء بالشرارة وأثبتها لمكانهم ليكون أبلغ في دلالاته على شرارتهم ، يذهب إلى ذلك صاحب الجدول فيقول : " فإثبات الشرارة لمكانهم ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم، فقد صرحوا أن إثبات الشرارة لمكان الشيء كناية عن إثباتها له " .

٤- إضافة المسبب إلى السبب الحقيقي على سبيل الكناية :

في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلْيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقِيَامَةَ بَيْنَهُمُ الْعَادَةُ وَالْبَعْضَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسِعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ المائدة : ٦٤ . في النص جمال الكناية وتجسد في قوله : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ كنى عن الحرب بإيقاد النار ، وشاع عند العرب عند اقتراب حرب بين قبيلتين أن يجلوا على رؤوس تلالهم وجبالهم نازلاً بيسمونها (نار الحرب) وجللوا علامة انتهاء تلك الحرب اطفاؤها ، ويرى الزمخشري في قوله ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ إنَّ مستوقد تلك النار " لا يرضاها الله . وهي إما أن تكون ناراً مجازية كمنار الفتنة والعداوة للإسلام، وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ، وإما ناراً حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي، ويتهدوا بها في طرق العبث، فأطفاها الله وخيب أمانتهم " . وكشف الغرض البلاغي أن إضافة الإطفاء إليه سبحانه ؛ إنما من باب إضافة المسبب إلى السبب الحقيقي .

٥- إيراد المعنى الخفي المعبر عن مقصد النص بطريق الكناية :

في قوله تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانِ أَلْطَعَامِ أَنْظَرُ كَيْفَ بُنِيتْ لَهُمُ الْأَيَاتُ ثُمَّ أَنْظَرْتُ أَنَّ يُؤْفَكُونَ ﴾ المائدة : ٧٥ . وفي النص كناية ، أظهرت أدب الخطاب في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّا بِكُلَّانِ أَلْطَعَامِ ﴾ كنى عن قضاء الحاجة بأكل الطعام ؛ لأن من أكل الطعام احتاج إلى قضاء الحاجة ، وكشف الغرض البلاغي عن مقاصد النص في إيراد المعنى الخفي في الرد على زعم النصارى واعتقادهم الفاسد والكريه . ويرى ابن درويش أن في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّا بِكُلَّانِ أَلْطَعَامِ ﴾ ، " كناية عن أنهما ، صلوات الله عليهما ، بشر ؛ لأن أكل الطعام يستتبعه الهضم والنفص ، فاكتفى بذكر أكل الطعام عن كل هذا تهييها وتصونها ، وهذا من غريب الكنايات في اللغة العربية " ٤٤ .

البحث الثالث : التناسب البديعي في سورة المائدة :

إنَّ إحصاء مناسبات الألفاظ مع الأغراض في سورة المائدة ، هو من بين الغايات التي يسعى للبحث للكشف عنها ، ليطابق بين المناسبة ، والقاعدة البلاغية التي تقتضي أن لكل مقام مقالاً ، ولمعرفة مفتاح حكم القرآن الكريم ودرره ، كما أن مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وفهم مراد الخالق العظيم في كتابه الكريم ، والكشف عن سحر آيات الجلال ، وتناسب افتتاح السورة والختام بتصوير الجمال ، هو مسعى لا ندعي فيه أننا بذلنا فيه جهد الكمال ، وهذا بطبيعة الحال جزء من المناسبة ، وهو مناسبة النص للواقع الذي يلقي فيه .

أولاً : المحسنات المعنوية :

أ : صور الطباق : الطباق في البلاغة العربية طباقان ، طباق ايجابي يجمع بين الشيء وضده ، كقوله تعالى : ﴿ وَحَسْبِهِمْ أُنْفَاظًا وَهُمْ رُوْدٌ ﴾ الكهف : ١٨ ، وطباق سلبي يجمع بين شيئين أحدهما مثبت والآخر منفي ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ الزمر : ٩ .

صور الطباق في سورة المائدة :

أ : طباق السلب : وفيه يختلف الضدان إيجاباً أو سلبيًا ، ويرد بين أسمين ، او فعلين ، أو حرفين ، ومن صوره :
١- اختلاف الشيء وضده في قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ المائدة : ١ . في النص لفظان متضادان في المعنى ﴿ أُحِلَّتْ ﴾ و ﴿ غَيْرِ مُحِلِّي ﴾ ، وهذا الطباق الذي تألف من فعلين متضادين ، يسمى الطباق السلب .

٢- اختلاف الشيء وضده في المعنى ، في قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوا سَعْتِ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيذَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْبَغُونَ فَضلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ فَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِلْتِمَاءِ وَالْعُدُوبِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ المائدة : ٢ . في النص اختلف الضدان إيجاباً وسلبياً وجمع بين الشيء وضده ، في ﴿ وَتَعَاوَنُوا ﴾ و ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا ﴾ ، وهو من الطباق السلب . ومثلهما ﴿ الْبِرِّ ﴾ و ﴿ الْإِلْتِمَاءِ ﴾ ، وهما لفظان متضادان في المعنى ويسمى طباق الإيجاب .

٣- طباق السلب في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَخْشَوْا يَأْتِي تَمَنَّا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ المائدة : ٤٤ . وفي النص اختلف الضدان ، وجمع بين فعلين من أصل واحد ، أحدهما مثبت ، والآخر منفي ، في كلام واحد ، في قوله - تعالى - : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ ﴾ ، ففيها طباق سلب بين الفعل المنفي ﴿ فَلَا تَخْشَوْا ﴾ وفعل الأ ﴿ وَأَخْشَوْنَ ﴾
٤- طباق الإيجاب في قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن رَّتَدَ مِنْكُم مِّن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَجَاهِدُونَ لَوْمَةَ لَأِيمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴾ المائدة : ٥٤ . وفي النص اجتمعت الكلمة وضدها في الكلام الواحد في قوله - تعالى - : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ الطباق الإيجابي بين ﴿ أَذِلَّةٌ ﴾ و ﴿ أَعْرَضَ ﴾ ، ﴿ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ و ﴿ الْكَافِرِينَ ﴾ .

٥- الطباق في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلْيَزِدْكَ كَثِيرًا مِّنْهُنَّ مَا أُزِيلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَقَلْبِنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسِعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ المائدة: ٦٤ في النص طباق بين (الإيقاد) و (الإطفاء) .

٦- الطباق في قوله تعالى : ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ المائدة : ٩٩ في النص الطباق بين ﴿ تبذرون ﴾ و ﴿ تكتُمون ﴾ .

٧- الطباق في قوله تعالى : ﴿ لِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة : ١٢٠ . في النص الطباق: بين ﴿ السَّمَوَاتِ ﴾ و ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ .

ب : صور المقابلة :

١- مقابلة ثلاثة بثلاثة ، في قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُجْلُوعًا شَعْبِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا الْفَلْتِدَ وَلَا ءَايِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْبَغُونَ فَضِلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ المائدة: ٢ . وفي النص المقابلة بين ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ و ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ فقد قابل بين اثنين ﴿ وَتَعَاوَنُوا ﴾ و ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا ﴾ و ﴿ الْبِرِّ ﴾ و ﴿ الْإِثْمِ ﴾ و ﴿ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ و ﴿ وَالْعُدْوَانِ ﴾

٢- مقابلة اثنين باثنين في قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ المائدة: ١١ . وفي النص المقابلة بين ﴿ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ و ﴿ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ و ﴿ إِلَيْكُمْ ﴾ و ﴿ عَنْكُمْ ﴾

٣- مقابلة اثنين باثنين في قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ المائدة: ٣٢ . وفي النص المقابلة بين ﴿ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ و ﴿ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ و ﴿ قَتَلَ ﴾ و ﴿ أَحْيَا ﴾

ثانيًا : المحسنات اللفظية

أ : صور الجناس : إن تشابه اللفظين نطقًا وكتابة ، واختلافهما في المعنى ، هو ما يسعى البحث لكشف جماليات صورته في الجناس بتنوعه ، الذي في مقدمته الجناس التام والذي يتفق فيه اللفظان على نوع الحروف وعددها وترتيبها وهيئة تشكيلها . كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِثُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ الروم : ٥٥ وفي النص الجناس الناقص الذي يختلف فيه اللفظان في نوع الحروف أو عددها أو ترتيبها أو ضبطها كقول أبي فراس الحمداني وفيه اختلاف الحروف : من بحر شعرك اغترف ٠٠٠ ويفضل علمك اعترف ومن صورته :

١- الجناس التام في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ آلِهَتَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلِيمُ الْغُيُوبِ ﴾ مآقَلْتُ هُمُ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ المائدة : ١١٦ - ١١٨ . وفي النص جناس تام في قوله تعالى : ﴿ مآقَلْتُ هُمُ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ ، كشف الغرض البلاغي عن جمال الجناس التام وتناسقه فيما بين الحروف والأسماء المبنية ، فقد تعدد معناه ، وطاب مبتدأه ومنتهاه ، فكان ذلك من تمام الجناس .

ب : توكيد المدح بما يشبه الذم . في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يٰأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مَنًّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ المائدة: ٥٩ . وفي النص توكيد المدح بما يشبه الذم ، ولا يوجد في القرآن الكريم كله إلا في هذه الآية ، ومجيء الاستثناء بعد الاستقحام الإنكاري أفاد توبيخ للكافرين ، يقول صاحب الجدول : " فإن الاستثناء بعد الاستقحام الجاري مجرى التوبيخ، على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان، يوهم بأن يأتي بعد الاستقحام ما يجب أن ينقم على فاعله بما يذم به، فلما أتى بعد الاستقحام ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمنا تأكيد المدح بما يشبه الذم " ٤٥ .

ت : أظهر الاسم الجليل في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٩ ، وفي النص أظهر الأسم الجليل في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، إشعار بعلّة الحكم وسببه . وذلك دليل الحرص على إقناع المخاطب .

ث : المشاكلة في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدْعَى اللَّهُ مَغْلُوبَةً ﴾ المائدة: ٦٤ . وتعني في اصطلاح علم البديع ، ذكر معنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير وقوعا محققا أو مقدرًا . كقوله تعالى : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ المائدة: ١١٦ . فأطلق النفس على ذات الله - تبارك وتعالى - . وفي ذلك يرى صاحب الجدول أن في النص : (المشاكلة: في قوله تعالى غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ فهو دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة أو بالفقر والنكد أو بغل الأيدي حقيقة بأن يكونوا أسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا إلى النار بأغلالها في الآخرة فتكون المطابقة حينئذ من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الأصلي كما في سبني سب الله دابره ^{٤٦} " .

ج : إرسال المثل في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ المائدة: ١٠٠ . وفي النص إرسال المثل ، قال بذلك ابن درويش : " في الآية إرسال المثل، وهو عبارة عن أن يأتي المتكلم في بعض كلامه بما يجري مجرى المثل السائر من حكمة أو نعت أو غير ذلك ^{٤٧} " .

ح : وضع الظاهر موضع المضمرة في قوله تعالى : ﴿ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ المائدة: ١١ . وفي النص وضع الظاهر موضع المضمرة ، وفي ذلك يقول الأبياري : " قيل: إنها تشير إلى ما كان من بني قريظة حين أتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الشيخان وعلي - رضى الله عنهم - يستقرضهم دية مسلمين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم، اجلس حتى نطعمك ونقرضك، فأجلسوه في صُفَّةٍ وهموا بالفتك به، فجاء جبريل فأخبره، فخرج ^{٤٨} " ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ ﴾ ، فأظهار الأيدي لزيادة التقريب .

الذاتية

- لكل بدايةٍ نهاية ، وقد انتهت رحلة بحثنا عند خاتمتها لتحصد أهم النتائج التي توصلت إليها وهي :
- ١ - يعد علم المناسبة علما دقيقاً يتطلب من الباحثين بذل مزيد جهدٍ وصبرٍ ولا سيما في مجال دراساتنا الشرعية واللغوية .
 - ٢ - عود نشأة هذا العلم إلى عصر الصحابة الكرام وتابعيهم بإحسان رغم عدم انتشاره وشيوعه إلا بعد زمنٍ يسير .
 - ٣ - يكتسب علم التناسب أهميته من خلال إعانته على فهم آيات القرآن الكريم ، وإبرازه للإعجاز فيه .
 - ٤ - كشف التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: (فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) عن اشتراك الفعلين في حرمة إراقة الدماء ، والتجرؤ على القتل ، واستجلاب غضب الله تعالى العظيم .
 - ٥ - وكشف الغرض المجازي عن أن القرآن ، والنور ، والهداية المحمدية كل ذلك يُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ من ظلمات الباطل إلى نور الحق واليقين .
 - ٦ - كشفت الاستعارة التصريحية في قوله تعالى : (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ) عن تشبيه الحلال بالطيب في حلاوته وتقبل النفس له ترغيباً فيه ، وتشبيه الحرام بالخبيث في كراهيته وعزوف النفس عنه .
 - ٧ - أظهرت الكناية الغرض البلاغي في مقاصد قوله تعالى : (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) إيراد المعنى الخفي في الرد على زعم النصارى واعتقادهم الفاسد الكريه .
 - ٨ - يساعد علم المناسبة في ملاحظة اقتباس النبي وصحابته من القرآن ونظمه . توجد أحاديث كثيرة وجد فيها تناص ومناسبة مع كثير من آيات القرآن الكريم .
 - ٩ - إن مقصود سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، وسورة النساء ، ارتبط في مقصود سورة المائدة.
 - ١٠ - إن اسم سورة المائدة اكتسب ظهور المناسبة بينه وبين مسماه ، وإن عنوانها مرتبط بتفاصيلها .
 - ١١ - جمال المناسبة جاء مذكراً بمعجزة المائدة التي أنزلها تعالى على بني إسرائيل ، لتتوائم العلاقة الوثيقة مع بداية السورة في تناسق عجيب مبهر، ينتهي بخاتمة تدعو إلى التوحيد .
 - ١٢ - كشفت المناسبة بيان معاقبة الله تعالى لليهود والنصارى على نقضهم العهود ، بتسليط بعضهم على بعض ، ليتناسب اسم السورة مع مضمونها .

المصادر والمراجع

- ١- الاتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط : ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- ٢- إجاز القرآن للباقلاني ، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت ٤٠٣ هـ) ، المحقق: السيد أحمد صقر ، دار المعارف - مصر ، ط ، ١٩٩٧ م .
- ٣- إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣ هـ) ، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) ، ط ٤ ، ١٤١٥ هـ .
- ٤- البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أنير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، المحقق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٢٠ هـ .
- ٥- البرهان في علوم القرآن ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه .
- ٦- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٩١ هـ) ، مكتبة الآداب ، ط ١٧ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- ٧- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣ هـ) ، دار التونسية للنشر - تونس ، ١٩٨٤ هـ .
- ٨- تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبدية ، الخطيب القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) ، كتب حواشيه : د. ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، بيروت - ٢٠٠٨ م .
- ٩- الجدول في إعراب القرآن الكريم ، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦ هـ) ، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت ، ط ، ١٤١٨ هـ .
- ١٠- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢ هـ) ، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية، بيروت .
- ١١- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١ هـ) ، المحقق: ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية- الدار النموذجية ، ط ١ .
- ١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، المحقق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- ١٣- صحيح أبي داود - الأم ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠ هـ) ، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ١٤- فاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ .
- ١٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨ هـ) ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ .
- ١٦- اللغة السينمائية ، مارسيل مارتن، ترجمة: سعد مكاوي، مراجعة: فريد الراوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، مصر، أغسطس، ١٩٦٤ م .
- ١٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١ هـ) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- ١٨- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- ١٩-مفتاح العلوم ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦ هـ) ، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٢٠-الموسوعة القرآنية ، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت ١٤١٤ هـ) ، مؤسسة سجل العرب ، ط : ١٤٠٥ هـ .
- ٢١-نظم الدرر في تناسب الآيات السور، للإمام برهان الدين أبي الحسن البقاعي ، دار الكتب العلمية ، ط ١٩٩٥ م .

هوامش البحث

- ١ دلائل الإعجاز في علم المعاني ، : ١ / ٢٣١ .
- ٢ اللغة السينمائية ، : ٢٨ .
- ٣ نظم الدرر في تناسب الآيات السور، للإمام برهان الدين أبي الحسن البقاعي ، دار الكتب العلمية ، ط ١٩٩٥ م : ١ / ٥ .
- ٤ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، : ٤ / ٧٠٨ .
- ٥ ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، ١٩ / ١٥٩ .
- ٦ نظم الدرر في تناسب الآيات السور، للإمام برهان الدين أبي الحسن البقاعي ، دار الكتب العلمية ، ط ١٩٩٥ م : ١ / ٨ .
- ٧ كتاب إعجاز القرآن للباقلاني: ١ / ٩٢ .
- ٨ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، : ٤ / ١١٠ .
- ٩ معجم مقاييس اللغة ، : ٥ / ٤٢٣ .
- ١٠ البرهان في علوم القرآن ، : ١ / ٣٥ .
- ١١ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، : ١ / ٦ .
- ١٢ البرهان في علوم القرآن ، البرهان في علوم القرآن ، ١ / ٣٦ .
- ١٣ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٦ / ١ .
- ١٤ صحيح أبي داود - الأم ، ٤ / ٢٣٩ .
- ١٥ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، : ١١ / ٢١٨ .
- ١٦ المصدر نفسه : ٤١ / ٧٨ .
- ١٧ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: ١ / ٢٩٤ .
- ١٨ مفتاح العلوم ، : ١ / ٣٣٢ .
- ١٩ كتاب إعجاز القرآن للباقلاني ، ١ / ٢٧٥ .
- ٢٠ الجدول في إعراب القرآن الكريم ، ٦ / ٣٣٤ .
- ٢١ إعراب القرآن الكريم وبيانه ، : ٢ / ٤٦٢ .
- ٢٢ ينظر : البحر المحيط في التفسير ، ٤ / ٢٧٨ .
- ٢٣ الجدول في إعراب القرآن الكريم ، ٦ / ٣٦٧ .
- ٢٤ الجدول في إعراب القرآن الكريم : ٦ / ٣٧٢ .
- ٢٥ وح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، : ٧ / ١٧٢ .
- ٢٦ ينظر : الجدول في إعراب القرآن الكريم ، ٦ / ٣٠٦ .
- ٢٧ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، ١١ / ٢٢٦ .
- ٢٨ الجدول في إعراب القرآن الكريم ، ٦ / ٣٤٦ .
- ٢٩ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١ / ٦٥٤ .
- ٣٠ إعراب القرآن الكريم وبيانه ، ٢ / ٤٢٧ .
- ٣١ إعراب القرآن الكريم وبيانه ، : ٢ / ٣٢٩ .

- ٣٢ الجدول في إعراب القرآن الكريم ٦ / ٢٩٨ .
٣٣ البحر المحيط في التفسير ، ٤ / ٢٠٨ .
٣٤ إعراب القرآن الكريم وبيانه ، ٢ / ٢٣٥ .
٣٥ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١ / ٦٢٩ .
٣٦ إعراب القرآن وبيانه ، ٢ / ٤٦٩ .
٣٧ الجدول في إعراب القرآن الكريم ٦ / ٣٤٢ .
٣٨ الجدول في إعراب القرآن الكريم ٧ / ٦ - ٧ .
٣٩ إعراب القرآن وبيانه ، ٣ / ٢١ .
٤٠ الجدول في إعراب القرآن الكريم ، ٦ / ٢٩٨ .
٤١ المصدر نفسه : ٦ / ٣٤٢ .
٤٢ الجدول في إعراب القرآن الكريم ، ٦ / ٣٩٤ .
٤٣ ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١ / ٧٤ .
٤٤ إعراب القرآن وبيانه ، ٢ / ٥٣٥ .
٤٥ الجدول في إعراب القرآن الكريم ٦ / ٣٩٢ .
٤٦ المصدر نفسه : ٦ / ٤٠٣ .
٤٧ إعراب القرآن وبيانه ، ٣ / ٢٧ .
٤٨ الموسوعة القرآنية ، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت ١٤١٤ هـ) ، مؤسسة سجل العرب ، ط : ١٤٠٥ هـ : ٩ / ٣٧٢ .